ينبغي ان يستقر في الذهن ، أن هناك حداً أدنى لا يمكن بدونه ارساء القاعدة الاولى للعصابات أو تدعيمها ؛ اذ يجب ان تكون الجماهير قد ادركت بوضوح حماقة الابقاء على النضال من أجل الأهداف الاجتماعية والوطنية ضمن اطار المساجلة المدنية ، فعندما تقوم قوى التسلط بفرض نفسها بالقوة ، يعتبر أن السلام قد انتهك مسبقاً ، وفي هذه الحالة يعبر السخط الشعبي عن نفسه في اشكال أكثر حيوية ، ويتبلور موقف المقاومة اخيراً في انفجار نضالي .

والوعي السياسي شرط لازم وأساسي كيما يفهم المقاتلون أن تنفيذ المهمة وتقديم الروح رخيصة خلال ذلك ، هو تنفيذ طوعي لخدمة هدف مشترك . وان المناقشة واستطلاع الآراء لا يستهدفان سوى دفع تنفيذ المهام الى الأمام .

وحرب العصابات ليست مغامرة جميلة ، ولا هي غاية في حد ذاتها ؛ انها ليست الا اسلوباً للوصول الى غاية ، وهي التحرير واستيلاء الشعب المغلوب على السلطة السياسية . فالعصابات الثورية ، سرية ، تولد وتتطور تحت الأرض ، والمناضلون انفسهم يحملون اسماء مستعارة في المرحلة الأولى ، واذا ما قررت العصابات الظهور ، فسيكون ذلك في الزمان والمكان اللذين تختارهما القيادة . والعصابات الثورية في عملها وفي تنظيمها العسكري مستقلة عن السكان ، وليس من واجبها تحمل مسؤولية الدفاع المباشر عنهم . فحماية السكان ترتكز على التدمير التدريجي للآلة العسكرية التي يملكها العدو ، ويصبح السكان في مأمن تام ، عندما تصبح القوى المعادية عاجزة عن القتال(١٠) .

يقول لورنس : « الجيوش شبيهة بالنباتات الثابتة التي ضربت جذورها بقوة في الارض والتي تتغذى عبر سيقان طويلة تمتد من أسفلها حتى ذروتها . ان بوسعنا [العصابات] ان نكون غازاً ، وروحاً تتحرك حيثما تريد ، ولم نكن نقدم أي شيء مادي للمذبحة ، نظراً لأننا لا نحتاج لأي شيء مادي »(١١). فالجيوش في حاجة ماسة الى قواعد امداد ومناطق ادارية لتأمين احتياجاتها الضخمة ، عبر طرق مواصلات جد طويلة ، يمكن قطعها في أكثر من مكان وباستمرار ، مما يؤدي الى ارباكها وتشتيت قواها .

والعصابات سلاح الطرف الاضعف ، وتأتي فاعليتها من ان خصمها لا يملك ابداً القوى الكافية للسيطرة على الأرض كلها . وتكمن قوة العصابات في قدرتها على تمييع القتال واجبار الخصم على بعثرة جهوده . فالعصابات تستمد قوتها وخاصة قدرتها على البقاء من صفتها البدائية البسيطة : انها حرب ازعاج لا تحتاج الى قوة كبيرة ، وتستمد فاعليتها من حركتها وندرة احتياجاتها . والخطأ القاتل لقادة العصابات يكمن في البحث عن تحقيق المهابة الشكلية للقوات النظامية . فالمهمة الأولى للعصابات ان تبقى موجودة ومختفية ، وأن تقوم بانسحابات استراتيجية عند اللزوم أكثر من ان تثبت أمام الخصم ، فثباتها أمام الخصم المتفوق يعني الانتحار .

ورغم ان القوات الجوية في الوقت الحاضر ، خلقت استحالة وجود قاعدة حصينة كلياً ، وزادت من امكانيات اكتشافها زيادة كبيرة ، فانه يلزم العمل دوماً على ايجاد مواقع بديلة ، وان يتم تدريب الرجال على نقل مراكزهم بسرعة ، واختيار الأماكن العالية التي تسيطر على منطقة واسعة نهاراً ويتعذر الاقتراب منها ليلا .